

الفن.. بورتريه شخصي للرغبات والأحداث

الفنان العراقي علي رشيد: أشتغل بروح الإشارة لا بروح الكتمان والتعمية

الكثير من المتكويين أكاديميا في الفن متعلمون لكن أغلبهم ليسوا فنانيين لديهم رهان تحقيق منجز جمالي. يعيدنا هذا إلى فكرة قديمة مفادها أن الفن لا يمكن تدريسه، بل هو في الأساس موهبة. لكن هذا الحكم القديم محل نقاش إذا ما علمنا بأهمية الوعي النقدي والرؤية الفكرية والتعلم في مسار كل من يريد التأسيس لتجربة فنية. علاقة الجامعات الفنية بعالم الفن يمكنها أن تكون علاقة تكامل بين الدرس الفني والتجربة. وفي ما يلي حوار مع الفنان التشكيلي العراقي علي رشيد حول الفن والتكوين وتفاعل الفنون وغيرها من القضايا.

عباس يوسف
فنان بحريني

فنان من العراق مقيم في هولندا، مهاجر ومنتم إلى الفضاء الإنساني، لكن العراق يسكن في كل خلية من خلاياه. تكتسي أعماله "خبرة في التلوين وخفة في ضربات الفرشاة بخطوط سريعة تتلوى على أجساد مقبورة مهجورة في فضاءات سديمية، يغلب عليها لون سماوي". وفي الكثير من الأحيان يظهر العمل في مساحات من اندخنة رمادية، تتخللها خطوط وتقسيما رقيقة بيضاء، وكأنها كشط وخدوش بالة حادة على أسطح جدران جيرية قديمة تصبح خلفية لقصة ما قد حدثت، ومساحات رمادية تنتشر فيها بقعة لون صفراء في تجاور رائع ولغة تشكيلية تنتج أصواتا جديدة ونغمات متعددة تضفي الهجة رغم كل شيء". بهذه الجملة المتلاحقة وصف النقاد أعمال الفنان علي رشيد.

الفن والأكاديمية

■ **الجديد:** تلقيت درسين أكاديميين في مجال الفنون الأول في العراق والثاني في هولندا، ما الذي وجدته مختلفا ومغايرا بين هذين العالمين؟

● **علي رشيد:** الاختلاف كبير. كانت وما زالت مناهجنا في العراق، وفي العالم العربي عموما تعمل على بناء طلاب متعلمين في الفن وليس فنانيين. ولذلك ترى أن سبعين في المئة من الطلاب المتخرجين يواصلون دراساتهم ويحصلون على الماجستير، والدكتوراه "هذا الأمر لا يشغل طلاب الفن هنا"، وتجد البعض منهم مستعدا للحديث ساعات عن الفن، ومدارسه وجذوره مفرداته لكنهم لا يمكنهم من تقييم العمل الفني، أو الغوص في دلالاته. ما زالت مناهجنا تؤكد على الحرفة ورسم البورتريه، والطبيعة الصامتة، وتدرس تكنولوجيا اللون بينما الغرب تحولت قناعاته في هذا التوجه، مفهوما أنك رسام جيد لأنك ترسم الشبه جيدا تجاربه منذ بداية القرن الماضي مع تجارب مارسيل دوشامب الأولى والتي أجدها مصادفة لما قاله المتصوف الكبير النفري "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة".

هذه الجملة العميقة تلخص النظر إلى الفن اليوم، فهي تحزن قيمة عالية من الدلالات. فالفن كما تعلمت هنا هو منتج فكري مرتبط بالحياة، وتحولاتها وبالزمن المعيش، هو بورتريه شخصي للرغبات والأحداث، ولا يمكن اختزاله بالمحتوى الجمالي كما نصر عليه في مناهجنا. أركز الخلل في المناهج وليس في الطاقات، في الستينات والسبعينات من القرن الماضي كان لدينا فنانون كبار درسوا في الغرب، وعادوا محملين بتجاربه ورؤاه وقدموا أعمالا مهمة، لكن لم يقينا مشهودين لهذه المرحلة ولم نتجاوزها؟ خصوصا وأن المتغيرات حول العالم في الفن سريعة ومتلاحقة.

ملتقيات عربية

■ **الجديد:** نظمت ملتقيات فنية في غير دولة عربية، إلا كنت ترمي، ماذا أعطيت وماذا أخذت من هذه الفعاليات؟

● **علي رشيد:** أنا سعيد بهذه الثقة التي يمنحني إياها الآخرون سواء على مستوى التنظيم والإشراف على ملتقيات أو حتى استشارات من ملتقيات عالمية في ترشيح أسماء فنانيين. أعطيت لهذه الملتقيات الكثير، حيث دعوت لها أسماء مهمة وكبيرة في الرسم عربيا وعالميا، ودعوت نخاتين كبارا ومعروفين على مستوى العالم من اليابان والمكسيك والصين والبرتغال، ومن قارات ودول مختلفة ولولا علاقتي الطيبة بهم لما كان يمكن التعرف عليهم وعلى تجاربهم الكبيرة.

وقد منحنا العديد من النخاتين الشباب في

الفن منتج فكري مرتبط بالحياة وتحولاتها وبالزمن المعيش، وأنك رسام جيد لا يعني أنك ترسم الشبه جيدا



دول الملتقى فرصة العمل جنبنا إلى جنب مع النحاتين الضيوف ما زاد في خبراتهم. بل تم توجيه دعوات إلى العديد من الفنانين والنحاتين من خلال مشاركتهم في الملتقيات التي أشرفنا عليها. حيث دُعِيَ البعض إلى كوريا والصين وأذربيجان والمغرب وفرنسا وغيرها من الدول. في المقابل رشحت للملتقيات عالمية أسماء كثيرة من أصدقاء ومعارف حتى أن نخاتنا عراقيا اختير عمله في أهم حديقة للنحت بالصين تضم أعمالا لكبار النحاتين عبر العالم من خلال ترشيحي له.

أشتغل بروح الإشارة إلى تجارب الآخرين، وليس بروح الكتمان والتعمية التي تسود "للاسف" عالم الفن. ولهذا فيمجرد وجود فرصة يمكن تقديمها لفنان لا أتردد في طرح اسمه. لم أحصل إلا على محبة واحترام الكثير ممن التقيتهم وعملت معهم، ومجافاة من القلة ممن لديهم مشكلة حتى في قول كلمة "شكرا".

■ **الجديد:** هل تظن أن مستوى طموح الفنان في العالم العربي ونتاجه الغزير (قياسا بالعدد الكبير للفنانين والفنانات) له ما يستوعبه على مستوى العرض والتسويق؟

● **علي رشيد:** الأمر لا يتعلق بالعدد الكبير للفنانين، ولكنه متعلق بالسوق والأبدي الخفية التي تدير لعبة البيع والشراء للأعمال الفنية.

عالميا لا يفتل سوق الأعمال الفنية وبيعها من الاحتياض، والصيغ غير القانونية منها تبييض الأموال نتيجة تراكم الثروات بشكل مشبوه، ما جعل سوق الفن وشراء الأعمال ملاذا لهم. لذلك تدفع مبالغ خيالية تصل إلى مئات الملايين للوحة الواحدة. وقد تكون حيلة ومفتحا لصنع فنان نجم وصناعته كسعر في المستقبل. بل هناك بيع يتم بشكل سري لا يعلن عنه.

عربيا سوق الأعمال الفنية هشة وغير واضحة الملامح فعدا بعض الأعمال التي تباع لفنانين من خلال قاعات

عربيا سوق الأعمال الفنية هشة وغير واضحة الملامح ولا تساعد الفنان على احتراف الفن وجعله مصدرا للعيش

جاءت الأسواق والمزادات التي لم تخل من الشبهات التي يدار من خلالها بيع الأعمال الفنية وتسويق الفنانين. وكالعادة بقي الأمر منوطا بأشخاص وشركات لهم حسابات أخرى لا تتعلق بأهمية العمل الفني وقيمه البصرية، كذلك لعبت الإخوانيات والتجمعات في العالم العربي احتكار العرض والتسويق وبقي الفنان الأعرل يواجه محنته في ظل ذائقة متدنية وسوق منخورة بالشبهات. وغياب المؤسسات الثقافية، والدعم الحكومي للفن والفنانين.

نصوص بصرية

■ **الجديد:** بين الفينة والأخرى تنشر في صفحتك على الفيسبوك والإستغرام صور أعمال غرافيك، حفر على المعدن، قل لي ما

العرض وهذه نسبة لا يمكن الاعتقاد بها، ولا تغني الفنان، أو تساعد على احتراف الفن واتخاذها مصدرا للعيش.

● **علي رشيد:** ما أنشره في مواقع التواصل الاجتماعي هي نصوص بصرية من مشروع بدأ منذ منتصف ثمانينات القرن الماضي

أسميته "تدوين الذاكرة". هذا المشروع الذي بدأ مع الحرب العراقية الإيرانية التي التهمت سنوات فئسان من عمري بين سواترها، كل هذا قادني نحو التدوين. تدوين اللحظة والذاكرة التي لا يمكن العبور على خزينها الذي يشير إلى الألم وأعني هنا الألم الجمعي لا الشخصي.

بقيت متمسكا بتوجهي هذا في الفن والكتابة لذلك، لم أشغل بالجماليات وحدها في ما أنتج بقدر انشغالي بالعالم وحروبه وأحداثه وكوارثه المتسارعة. انشغلت بالناس وتفاصيل حياتهم، بمعاناتهم التي تتفاقم وبتحالمهم التي تتلاشى.

هذا ما جعلني أشتغل على مشروعني الشخصي المرتبط بالبحث الجمالي والفلسفي وعلى التدوين كمنطلق أخلاقي وإنساني إزاء ما يجري حولي. فمع كل حدث عالمي أو حتى عراقي

تجدني أسعى إلى تدوينه، ونشره لجعل المتلقي أمام مواجهة مع ما يحدث، واستفزازه ليتخذ موقفا منه. يمكن للمتابع أن يرى في صفحتي أعمال الحفر والتخطيط والكولاج التي تتشكل كسلسلة مع الحدث المدون كما في التظاهرات السلمية للعراقيين ومطالبتهم بالوطن والكرامة والخبز، وقبلها أحداث عربية وعن الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وحتى مرحلة العزلة والخوف في زمن كورونا. بالطبع تتناغم هذه الأعمال التدوينية مع مشروعني وتجاري الشخصية في الفن التي تنطلق من الزهد في اللون والشكل لصالح البحث عما هو غائب وغير مرئي.

ص 11 و 14 تنشران كاملتين على الموقع الإلكتروني بالاتفاق مع مجلة "الجديد" الثقافية الشهرية اللندنية

